الاعلام الصهيوني في مواجهة تحدي المقاومة

غيث نجيب الارمنازي

كان من جملة ما احدثه بروز شأن المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران قيام حملة اعلامية « فلسطينية » تتمايز في كثير من خصائصها عن الاعلام العربي الرسمي الذي لم يعرف له بديل الى ان نشأ اعلام المقاومة . وقد ظهر تأثير الاعلام الفلسطيني من خلال عاملين رئيسيين . اولهما واهمهما تصاعد نشاط الفدائيين العسكري وتسارع اجهزة الاعلام العالمية الى تغطية هذا النشاط وتحليل طبيعته وابعاده مما ادى الى تسليط الاضواء على هذه الظاهرة الجديدة التي اضافت باجماع المعلقين بعدا جديدا على « ازمة الشرق الاوسط » . فمنذ معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ وحتى مجازر ايلول عام ١٩٧٠ ظلت انباء المقاومة الفلسطينية تحتل امكنة الصدارة في الصحف الغربية فضلا عن اهتمامات الاوساط الاذاعية والتلفزيونية . فكان « الاعلام » الفلسطيني من هذه الناحية مجرد رد فعل طبيعي ومتوقع على الصعيد العالمي لانجازات عسكرية وسياسية حققتها المقاومة في نطاق نشاطها الفلسطيني والعربي . كما كان هذا النوع من الاعلام في مجمله لا يرتكز على خطة محكمة ذاتية لدى المقاومة ولم يكن بالتالي يتصف في كليته او حتى في اكثريته باتجاه ودي نحو المقاومة بل على العكس كان هدف معظم اجهزة الاعلام الغربية ابراز النواحي السلبية في المقاومة (كالتشديد كثيرا مثلا على الانقسامات في صفوفها) ومع ذلك فقد ادى في نتيجته — شاءت تلك الاجهزة ام ابت — الى اكتساب المقاومة شهرة عالمية واصبح الحديث عن ازمة الشرق الاوسط دون اعتبار اساسي لدور المقاومة في تلك الازمة امرا غير طبيعي بنظر الاكثرية الساحقة من المعلقين الصحفيين المهتمين بشؤون الشرق الاوسط (وقد تقلص كثيرا دور المقاومة بعد مجازر ايلول بنظر هؤلاء المعلقين ولم يبق اليوم سوى الكلام الذي يردده بعض الافتتاحيات عن ضرورة دخول « الطرف الفلسطيني المعتدل » في معادلة الحل السياسي اي الطرف غير المقاتل المتمثل في بعض قيادات الضفة الغربية) .

اما العامل الثاني الذي ادى الى انطلاقة الاعلام الفلسطيني فقد تمثل بنشاط المقاومة الداعي من خلال المؤسسات الاعلامية التي اقامتها او اقامها بالنيابة عنها انصارها اما في داخل المنطقة العربية او في الخارج . فبالنسبة للخارج لعبت خلايا المنظمات الفدائية — وخاصة خلايا فتح — بالتعاون مع المنظمات الطلابية العربية دورا بارزا في دفع الاعلام الفلسطيني الى الامام وفي تحويل الاعلام « الموضوعي » الناجم عن العامل الاول المذكور اعلاه الى اعلام « ذاتي » منظم يأخذ شكل حملة محددة المنطلقات والاهداف . فقد انشئت مثلا صحف ومجلات تنطق بشكل شبه رسمي بلسان المقاومة نذكر منها Free Palestine في كل من بريطانيا والولايات المتحدة و Fedayin في فرنسا و Resistancia في المانيا الغربية . كما شكلت تنظيمات عربية واجنبية كثيرة في الغرب لدعم الكفاح الفلسطيني دخلت فيها المقاومة عضوا وحاولت من خلالها التأثير على الرأي العام واقامة درجات من الحوار والتعاون مع كافة المنظمات الطلابية والسياسية الغربية خاصة تلك التي درج على تسميتها بـ « اليسار الجديد » .